العدد 8 لسنة 2023
No. 8 – Feb. 2023
المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
P-ISSN 2710-0952 E- ISSN 2790-1254

الطبيعة المتحركة في حماسة أبي تمام " دراسة وتحليل"

م.م. محمد جابر مزعل المبارك
كلية الإمام الكاظم (ع) / أقسام ذي قار

المستخلص:
يتناول البحث دراسة موضوع (الطبيعة المتحركة في حماسة أبي تمام، إذ جاء الحديث عن الخيل، والإبل والطيور وقبل تحدث البحث عن أهمية الطبيعة في النص الشعري العربي.
الكلمات المفتاحية: الطبيعية، الخيل، الإبل، المعركة، الطيور.

Animated Nature in Abi Tammam's Hamasa "Study and Analysis"

Asst. L. Muhammed Jaber Mazal Al-Mubarak
Imam Al-Kadhim College (pbuh) / Dhi Qar departments

Abstract:
The research deals with the study of the subject of (moving nature in the enthusiasm of Abi Tammam, as the talk came about horses, camels and birds, and before the research talked about the importance of nature in the Arabic poetic text.
key words: natural, horses, camels, battle, birds.

المقدمة

الحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين ، وعلى آله الكرام وصحبه الأخيار وبعد:
يقف الشاعر الكبير أبا تمام في طليعة شعراء عصره ، فهو شاعر من الطراز الأول ومثقف بوعي عال ، وفكر ثاقب وله حصة كبيرة من الحكمة فقد ورد عن المتنبي قوله: انا وأبو تمام حكيمان إنما الشاعر البحتري ، ومن ادلة ثقافته الرفيعة ، وذوقه الشفيف كتابه الذي جمع عيون الشعر العربي الأصيل إذ اختار لنا من ديوان العرب أجمله فكان الديوان الذي توالت عليه الأقلام شرحاً ودراسة ولهذه الأسباب وغيرها قرأت ديوان الحماسة وجمعت ما يتعلق بموضوع الطبيعة المتحركة ، فكان هذا البحث الذي جاء بمبحث أول إذ سلط الضوء على معنى الطبيعة في اللسان العربي ، والاصل الاصطلاحي لمفهوم الطبيعة ، والمبحث الثاني درس أهمية الطبيعة في الشعر العربي ، أما المبحث الأخير فهو الدراسة التطبيقية فجاءت شواهد الخيل في العنوان الأول ثم شواهد الأبل في العنوان الثاني والعنوان الأخير تحدث عن شواهد الطيور وفي خاتمة البحث أوجزت بعض النتائج. والحمد لله ربّ العالمين

المبحث الاول

دلالة الطبيعة في اللغة والاصطلاح :

ورد في لسان العرب دلالة الطبيعة بأنها :
((طبع الطبع والطبيعة : الخلقية والسجية التي جُبل عليها الإنسان ، والطِّباع : كالطبيعة ، مؤنثة ، طبعه الله على الأمر بطبعه طبعاً : فطره ، طبع الدرهم والسيف صاغهُ ، طبع الشيء وعليه يطبع طبعاً : ختم والطَّابع بالفخ والكسر : الخاتم الذي يختم به ، يقال : طبع الله على قلبه : ختم فلا يعي ولا يوفق لخير وأصل الطبع الصدأ يكثر على السيف وغيره)) [1]
وفي أساس البلاغة يقول المؤلف :
((طبع السيف والدرهم ، ضربهُ ، وهو طبع حسن الطباعة ، وطبع الكتاب وعلى الكتاب ضرب عليه بالخاتم ، ورأيت الطابع في يد الطابع ، طبع السيف ركبه الصدأ الكثير وطبع الإناء أتأفه ... ومن المجاز طبع الله على قلب الكافر ، وإن فلاناً لطمع طبع . ومن الأخلاق ، وهو مطبوع على الكرم ، وقد طبع على الأخلاق المحمودة ، وهو كريم الطبع والطبيعة والطباع))[2] وفي مقاييس اللغة نجد المعنى ذاته غير أن المؤلف ينقل رأياً لابن السكيت حاملاً دلالة النهر إذ يقول
((الطبع يحمل معنى النهر والجمع أطباع وطبع الرجل، إذا لم ينفذ في الأمر وناقة مطبَّعة ، أي مثقلة بالحمل))[3].

أما مفهوم الطبيعة في الاصطلاح :

فقد قيل عنها إنها: ((القوة السارية في الأجسام إذ بها يصل الجسم إلى كماله الطبيعي وتطلق أيضاً على المزاج الخاص بالبدن ، ومنها الطبائع الأربع عند الطبيعيين الحرار والبرودة والرطوبة واليبوسة ، والطبيعي والطبيعيات : علم يبحث فيه عن النواميس التي تجرى عليها الكوائن))[4] ، أو هي : ((القدرة على النمو الكافة في كل الاشياء ، أي القوة الحاضرة حضوراً كلياً شمولياً ، وهي قدرة مسيطرة يجد الإنسان نفسه داخلها دوماً فالسماء والأرض ، والكواكب ، والحيوانات وكل الأضداد والمفارقات والأنسان نفسه كلها توجد ضمن الطبيعة))[5] ، وفي المعجم الأدبي يعرفها الكاتب بأنها : ((مجموعة المخلوقات الموجودة ، بمعنى العالم والكون))[6] وفي اصطلاح نقاد الشعر ودارسي الأدب يراد بالطبيعة الشعر الذي يصف الطبيعة الصائتة ، ويقصدون بها : ما اشتملت عليه الطبيعة ، أو ما اشتمل عليه الكون من الكائنات الحية المتحركة ذات الصوت سوى الإنسان فكل شيء له صوت من الحيوان ، والطيور ويدخل في هذا الجانب من الطبيعة التي يسمونها بالصائتة كل ذي صوت[7] ، وقسم نقاد الشعر العربي الطبيعة الى نوعين صامتة ومنها الجبل والأنهار والصحاري ، والطبيعة الناطقة أو المتحركة وهي مادة البحث ويشير البحث المطروح الى ذلك بعد ذكر أهمية الطبيعة في النصوص الشعرية العربية .

المبحث الثاني :
أهمية الطبيعة في النص الشعري

إن المتأمل في الشعر العربي ، تستوقفه تلك العلاقة المتميزة التي جمعت الإنسان العربي بالبيئة المحيط به ، فمنذ أن وطئت قدماه الأرض ، وجُبل على ترابها راح يتأمل وينعم النظر ، ويطلق عنان الخيال بما يحيط به من مظاهر ، ومناظر ساعياً الى فهم أسرارها وتحديد نواميسها معبراً في أحيان كثيرة عما يختلج في وجدانه بلغة شعرية رفيعة ، وكان أول ما استوقفه مشاهد الطبيعة التي يعيش بين أحضانها ، ويمشي في مناكبها من صحاري ، وبراري ، ونجاد ووهاد وغير ذلك من ظواهر متنوعة [8]فالطبيعة كانت ومازالت مصدر الهام لأصحاب الفن بشكل عام ، والشعراء على وجه خاص ؛ لأن للطبيعة تأثيرها المباشر في نفس الشاعر لهذا فهو تحدث عن جمالها ، ومعالمها ، وجداولها في معظم أغراضه الشعرية من غزل ومديح وهجاء وغيرها من الموضوعات [9] فقد جذبت الطبيعة وما فيها من جمال وأنهار وحيوان وكثبان الشعراء والفنانين من مختلف الأمم ، واللغات لما تملك من مكنونات ، وتنوع كان له أثر في من حولها فتغنوا بالطيور، والنبات والزهور ، والبحر والجبال[10] والطبيعة تحضر في النصوص الإبداعية بقسمين الأول باعتبارها ظاهرة جميلة خلابة تستحق الوصف ، والثاني توظيفها في تقريب المعنى المراد ايصاله إلى المتلقي[11] ، وهي تمثل خلفية حية باستمرار في وعي الشاعر ولا وعيه بتفاعلها معه ، فتبدو كما لو أن التوتر الذي يبدو عليها هو نفسه في ذات الشاعر والعكس[12] ، وأهمية الطبيعة في نفس الشاعر ونصه الجمالي له عدة اتجاهات فهنالك من وقف عند حدود المشاهدة الخارجية ورأى في الطبيعة استراحة واكتفى بالتصوير الفوتوغرافي أي النقل الحرفي لمظاهرها ، وهنالك من أشركها معه في احاسيسه وداعب أجزاءها ، لكنه لم يذب فيها وهذا ما تؤكده مقولة سيد قطب حين قال : ((الطبيعة في الشعر العربي قد تحيا وتدب ويحس الشاعر بما يضطرب فيها من حياة ويلحظ خلجاتها ويحصي نباتها ولكنه لا يندمج في هذه الطبيعة ولايحس انه شخص من شخوصها ، وفرد من ابنائها أو حركة من حركاتها ونبضة من نبضاتها ، وأنه منها واليها وأحاسيسه موصلة بأحاسيسها))[13] فقد حركت الطبيعة وجدان الشعراء فهي فضاء رحب للتعبير عن كوامن النفوس ، وصورة صادقة عن أحاسيس ومشاعر القلوب المنكسرة ؛ لذلك جاءت صورة ناطقة تعكس همومهم ، والامهم ونزعاتهم في صدق ووضوح[14]، والطبيعة ملجأ الشعراء لنشر أفكارهم ، وملاذ لفرحهم وترحهم وهم يشعرون بما حولهم من عالم الحس والطبيعة وهم لا يقنعون بهذا العالم الأرضي بل يشركونه بالعالم السامي عالم الخيال ، دون أن ينفصلوا عن عالمهم الأول ، أما أولئك الذين لا يحسون بهذا العالم السامي ، عالم الفكر الدقيق ، والخيال البعيد ، فأنهم لن يكونوا شعراء وأن كانوا يستطيعون النظم ورصف القوافي[15] فالشاعر المبدع لا يرى الأسد والطيور ، والخيل والأبل كما هي في عالم الحيوان ودرس الأحياء ، فهو يخلع عليها صوراً تجمع بين ضروب المشابهة ، فيتأملها في حالات عدة وصور شتى كالذعر والخوف وإعجاب وهذا ينطبق

على كل مظاهر الطبيعة الصامتة والمتحركة لذلك يأتي وصف الشاعر لهذا المظاهر الكونية أو المخلوقات الربانية بعيداً عن الحقيقة وهنا يكمن خيال الشاعر المصور ولغته المعبرة عن هذه العوالم بدقة عالية ولغة سامية وصورة تجذب المتلقي فهؤلاء الشعراء والكتاب يتخذون من الطبيعة روز يعبرون من خلالها عما يجيش في نفوسهم من عواطف ومشاعر شتى وهي بالنسبة لهم ملهمة لدروس الحياة والحب والاخلاص ، كما أن الشعر العربي وظف الطبيعة لبيان جمالية المكان ، ولأخذ القارئ الى عالم من صنع الخيال بعيداً عن الواقع الذي يعيش فيه ، حيث يجد فيه كل ما يتمناه في واقعة وما يحلم به[16]

المبحث الثالث
الطبيعة المتحركة وتمثلاتها

بعد أن وقف البحث عند دلالة الطبيعة في المعجم العربي وعلى المستوين اللغوي والاصطلاحي ثم بعد ذلك بيان وأهمية الطبيعة في نفس الشاعر ونصه الشعري وما يحمل من مظاهر الطبيعة المتحركة، فالكائنات الحية رافقت الانسان في الحل والترحال ، وخاضت معه المعارك والغارات وحضرت معه مواقف السلم والحرب ، وساعات الوداع ، وأيام الوصل والهجر ، ودخلت في قصصه الواقعية منها والأسطورية وسنعرف تفصيل بعد تعميم الشواهد على النحو الآتي:

1_ الخيل

لقد ارتبط العرب في الخيل بالجاهلية ، والإسلام ، اعترافاً بفضلها ، وما جعل الله تعالى فيها من عز وترشقاً بها ، وتبصر على المخمصة . والأرداء ، وتحضنها وتركبها ، وتؤثرها على الأهل والأولاد فهم يفتخرون بها في أشعارهم ، وفي أكثر من موطن إذ قال في سورة الأنفال : ((وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم))[17] ، لهذا وغيره نجد الشاعر الجاهلي يفضلها على نفسه ، وأهله ، ويلتمس لها أحب الأسماء حتى أنه اشتق لها أسماء من صفاتها [18]، فمكانتها في حياة العربي تسمو الى مكانة فلذات أكبادهم ، بل تفوقها في بعض الأحايين ففي الخيل العز والجمال والمتعة والقوة[19] حتى أن بعض شعراء العرب عُرفوا بنعّات الخيل مثل امرؤ القيس ، وأبو داود ، وطفل الغنوي ، والنابغة الجعدي ، والحطيئة والفرزدق[20] فكانت عناية الشاعر العربي بالخيل عناية فائقة؛ لان الفرس ((لا يضن عليه بجهد ولا يبخل دونه بشاو ، اذا حارب كان له أوفى من سيفه وأسد من قوسه وسهمه وإذا سالم شاركه في خيلانه وعاونه على بناء مجده وسنانه ، وإذا ابتغى صيداً كان قيد الأوابد، أو أراد طرداً آلى على نفسه أن يلحق بالطارد))[21].

وسنعرف تفاصيل ذلك بعد ذكر الشواهد الشعرية ، إذ يقول ودَّاك بن نميل المازني :

رويد بني شيبان بعض وعيدكم تلاقوا غداً خيلي على سفوان
تلاقوا جياداً لا تحيد عن الوغى إذا ماغدت في المأزق المتداني[22]

فالشاعر يطلب التمهل من بني شيبان فهو لا يخشى وعيدهم ، لأنه فارس يمتطي الخيل التي لن تحيد عن الحرب ولن تفرَّ من احتدام السيوف فلن نهاب وعيدكم فالموعد معكم عند سفوان في البصرة لترى فعل الرجال وصولة الخيول وصلابة الموقف حينما ندخل ساحة النزال في الموعد المحدد والغد الاتي .

وقال آخر :

ولقد شهدت الخيل يوم طرادها فطعنت تحت كنانة المتمطر
ولقد رأيت غداة شلن عليكم شول المخاض ابت على المتغبر[23]

يتحدث الشاعر ومن خلال أسلوب التحقيق عن مشهد الخيل في المعركة ويوم الطراد في ساعات الحرب أثناء طعن الاعداء فقد إنهزموا مدبرين ودلالة ذلك رفع أذناب الخيول ، فهي تعدو عليكم رافعة أذنابها مقبلة وأنتم هاربون وهي تحث الخطى مقدمة عليكم ظافرة بالنصر والمجد.

وقال الحريش ويروى للعباس بن مرداس:

شهدن مع النبي مسمومات حنيناً وهي دامية الحوامي
ووقعة خالد شهدت وحكت سنابكها على البلد الحرام[24]

يوم كريم ومقولة من معارك نشر الإسلام الحنيف وبحضور نبي الأمة (ص) ، فالخيول تخوض معركة لأجل الدفاع عن منهج الرسول الأعظم (ص) ودين السماء فهذه إحدى معارك الإسلام العظيمة التي

أمست فيها حوافر الخيل دامية لكثرة العدو وطول النزال وشدة الموقف فقد وطأت حوافر خيل المسلمين الحرم حتى فتحت مكة المكرمة وهزمت كفار قريش عند جبل الخندمة

فقد باتت سيوف المسلمين في كل الثغور ، فلا سلام ولاهدنة ولا صلح حتى تحقيق الفتح المبين والنصر الكبير، وإن أصبحت وجوهنا هدفاً لسيوف المشركين فهذا اليوم العظيم يستحق التضحية والبذل والدفاع ، لأنه يوم الفتح المبين وتحرير البيت العتيق من أيدي عصابة قريش .

وقال الأشتر النخعي :

خيلاً كأمثال السعالي شُزَّبا تعدو ببيض في الكريهة شوس
حمي الحديد عليهم فكأنه ومضان البرق وإشعاع شموس[25]

فخيل الأشتر تخوض نزالاً وفي أقصى سرعة فكأنها الجن في العدو بينما السيوف حامية تحاصر نحور الرجال حتى كأنها شعاع الشمس الذي لا يحجبه شيء ولا يمنعه ساتر . ويقول عمرو بن معد يكرب

لما رأيت الخيل زوراً كأنها جداول زرع حليت فاسبطرت
فجاشت اليَّ النفس أول مرة وردت على مكروهها فاستقرت
علام تقول الرمح يثقل ساعدي إذا أنا لم أطعن إذا الخيل كرت[26]

وقد علق الشارح على هذا المشهد الحربي بقوله:

((امتداد الخيل في انحرافها عند الطعن بامتداد الماء في الأنهار ، وهو يطرد ملتوياً ومضطرباً. وكما أن الزور جمع أزور ، وهو المعوج الزور وهذا من التشبيه الحسن الصائب))[27] ، وفي البيت الثاني نلحظ حديث الشاعر عن نفسه وهو بين الاحجام والإقدام، فالخيل تنتشر كجداول الماء الذي يشق الأرض حتى يصل الى أبعد بذرة ليغمدها لكنه بعد محاورته مع نفسه انتصر عليها وتجاوز الخوف وعار الهزيمة وحملها على المكروه فاقرت واقدمت الى ساحة النزال . وفي البيت الثالث يستفهم عن ذلك الفارس الذي يشكو ثقل الرمح دون ان يخوض به حرباً أو طعناً وأن الفارس الحق والبطل الباسل هو الذي يعمل الرمح في حالتي الكر والفر

وقال سيار بن قصير الطائي :

لو شهدت ام القديد طعاننا بمرعش خيل الارمني أرنت
عشية أرمي جمعهم بلبانه ونفسي وقد وطنتها فاطمأنت[28]

يتمنى الشاعر حضور زوجته الى المعركة التي وقعت في مرعش في ثغور أرمينا لتشاهد كثرة العدو وقلة عددنا لضجت واشفقت علينا في هذا الموقف حيث سقط منا الكثير بين قتلى وجرحى ، ومع كل ذلك فأنا الفارس الشجاع الذي وطن نفسه والف الحروب حتى استقرت نفسي واقدمت الى خوض الحرب ومواجهة السيوف والرجال فلا ترعبني كثرة العدد و لايخفيني بريق السيوف فأنا ثابت مطمئن القلب أصوب سهامي على الأعداء حتى تخترق القلوب وتقل سادة القوم والاشراف

وقال الحصين بن الحمام

من الصبح حتى تغرب الشمس لا ترى من الخيل الا خارجياً مسوما[29]

إذ يشير البيت الشعري الى زمن المعركة فمنذ بزوغ الشمس حتى وقت الأصيل امتدت هذه المعركة بين الطرفين فالرجال لاهم لهم غير الدفاع عن الأنفس وسلامة أجسادهم من أطراف السنان وظبات السيوف فالسعيد من خرجت به فرسه سالماً من أرض الموت وعاد لأهله بروحه دون غنيمة

قال أبو صخر الهذلي :

رأيت فضيلة القرشي لما رأيت الخيل تشجر بالرماح
ورنَّقت المنية فهي ظل على الابطال دانية الجناح[30]

فأبو صخر الهذلي يشاهد التطاعن والتناوش بالرماح والسيوف بين الرجال وهم على ظهور الخيل ، والمنية تعلو على رؤوس المقاتلين وتدنو من أرواحهم حتى خيمت عليهم بجناحها المستعار .

قال المنخل اليشكري :

على الجياد المضمرا ت فوارس مثل الصقور[31]

فجياد اليشكري المضمدات تحمل ابطالاً كالصقور ، يتمتعون بحدة البصر ، وهمة متعالية وطموح كبير في ركوب الأخطار ، وخوض مغامرات الحياة ومواجهة أخطارها من حرب وقتال ومنازلة الأبطال في ساحات الوغي وساعات الاحتدام .

أما خيل سوار فهي الاخرى تحمل رجالاً أشداء في لحظات الغمرات ولمعان السيوف فلو كنت والخطاب الى زوجته (جنوب) معنا حاضرة ساحة النزال لرأيتِ الخيل تتعقب أثر الفارين، فأن رجالي يبادرون الأعداء بالموت فلا منفذ لهم غير مواجهة السيف وخيلي تحاصرهم وتلاحق الهاربين في كل مكان وذا قوله

أجنوب إنك لو رأيت فوارسي بالسيف حين تبادر الاشرار
سعة الطريق مخافة أن يؤسروا والخيل يتبعهم وهم فرار [32]

وقال أبو حزابة التميمي :

خاض الردى في العدى قدماً بمنصلهِ والخيل تعلك ثني الموت باللجم [33]

فهذا الفارس يخوض المعركة بسيفه وعزمه الذي لم يلين ، فهو في منتصف الأعداء وكأن الخيل تمضغ الموت بأسنانها ، وهو الفارس الراكز في الارض المتقدم نحو الاعداء دون مهابة الموت أو خوف من سيوف الأبطال

وقال غزا مجمع بن هلال :

وخيل كأسراب القطا قد وزعتها لها سبل فيه المنية تلمع[34]

إذ يعلق الشارح بقوله :

((فالشاعر تذكر بما كان منه عند تعالي سنة وتناهي عمره ، ما كان في ريعان شبابه وعند استكمال قوته وترامي الأحداث به ، فيقول :

رب الخيل تمتد وتتولى مبادرة الى الملتقى وتسترسل استرسال يفرق القطا عند اندفاعها للورد ، أنا بعثتها وهيجتها ، ولها عارض يمطر بالموت ويلمع))[35].

وقال قتادة بن مسلمة الحنفي :

قاتلتهم حتى تكافأ جمعهم والخيل في سبل الدماء تعوم[36]

اذ نشاهد معركة طاحنة بين قتادة وخصومه فقد هزم أولئك الفرسان الذين نازلهم في العراء حتى أضحت الخيل تسبح بالدماء .

ونختم فقرة الخيول وفرسان المعارك مع ذلك الفارس الشاعر (دريد بن الصحة) فقد ذهب لنجدة أخيه بعدما سمع من رجال بأن احد الفرسان قد هوى من على ظهر جواده فلا شك انه (عبد الله) فهو الفارس المقدام والرجل الذي لا يهاب الموت ولا يخشى حرارة السيوف فجاءه اخوه (ابن الصمة) والرماح تتناوله من كل جانب حتى بات هدفاً للرماح فحاله كحال خشبة النساج الممدودة التي تضرب من كل الجهات فأخذ دريداً يطاعن الخيل حتى يردها واثخن بالجراح وتخضب بالدماء ، فكأنه يقدم نفسه مكان اخيه فهما نفس واحدة لكن الموت كان اقوى من دفاعي أسرع من نجدتي وهو نهاية لكل حيٍّ

2_ الإبل

اهتم الشعراء بوصف الإبل ، فهي الحيوان المناسب للحياة في الصحراء اذا تتحمل وعورة الأرض وقسوة الظروف وتحمل أهلها من مكان الى آخر فمن هذا الباب وغيره كثره تردد ذكرها في نصوص الشعراء حتى لا تكاد تخلو قصيدة من دواوين العرب فلا غنى لهم عنها لذلك حضرت في الشعر العربي بأساليب وصورة مختلفة وصفات متنوعة [37] والناقة عند الشاعر الجاهلي بساطه السحري يجوب بها الافاق وينحدر بها الى الوديان والسهول حتى يبلغ مراده، ومكانه المقصود ، فالشاعر يحثها الى الملوك ووجهات القوم ويسير بها الى محبوبته ثم انها إحدى لوامه التي لا تفارقه [38] ، فقد وصف الشاعر الناقة اكثر من مرة ؛ لأنها مركبة رحلته ومطية أهله ولباسه ، ترمز الى الصراع من أجل الحياة ووسيلة الشاعر الى تحقيق وجوده [39] (وتشير على الايحاءات النفسية والاجتماعية والسياسية التي تعكس واقع تلك البيئة الصحراوية القاسية))[40]، فقد احتلت الإبل مكانة مرموقة في الشرق إذ وصلت في بعض الأحيان لحد التقديس والعبادة ، ورويت عنها القصص والأساطير وقيل فيها الشعر وضُربت بها الامثال[41] ، فالناقة ((عنصر رئيساً في حياة البدوي ؛ لأنها سفينته في عرض الصحراء ووسيلة نقله من مكان لآخر ، وهي

صاحبته في حله وترحاله ، وخليلته في البيد والفقار يشرب حليبها ، فتمده بعناصر الحياة ، فاشتدت الألفة والمحبة بنيهما ، فرفعها الى مستواه ، فاتخذ منها صديقة وصاحبة ، وكأنها إنسانة تقاسمه المشاعر وتشاطره الهموم ، فأضفى عليها من صفات العقلاء ووجدان الأصدقاء فناجاها وتسمَّع الى شكواها وعبر عنها[42])) وسنرى هذا من خلال شواهد أبي تمام اذ تقول كبشة أخت عمر بن معد يكرب :

ولا تأخذوا منهم إفالاً وأبكراً وأترك في بيت بصعده مظلم
ودع عنك عمراً إن عمراً مسالم وهل بطن عمرو غير شبر لمطعم[43]

فالشاعرة تخاطب جمع الرجال بأسلوب النهي فلا فدية ولا مصالحة بل لابد من أخذ الثأر فلا قيمة لهذه الفدية المتمثلة في صغار الإبل من إفال وأبكار أمام الاخ المقتول ، وفي البيت الثاني نجد الشاعرة تستخدم الحماسة وأثارة حفيظة الأخ (عمر) بأسلوب الذم الذي يراد به المدح وذا تعليق الشارح على البيت :

((عمرو هو أخوها ، وكان يعد بألف فارس ولم يكن ممن يسالم ولاسيما في طلب دم أخيه ، وإنما رمته بهذا الكلام لتهييج وتبعثه على التعجيل في درك الثأر والتسرع في الانتقام))[44].

وقال بعض بني اسد:

كلا أخوينا يرع بدع قومه ذوي جامل دثر وجمع عرمرم
كلا أخوينا ذو رجال كأنهم أسود الشرى من كل أغلب ضيغم[45]

وقصة البيتين كما ذكرها الشارح بقوله :

((يقول رجل أقتتل فريقان من قومه على بئر ، فيقول : كلا صاحبينا إن يفزع يستغيث بقوم ذوي عدد وعدة ، والجامل : الإبل واسم صيغ للجمع ، والدثر الكثير ، والعرمرم: الجيش العظيم .

وإن كل واحد من صاحبينا مؤيد برجال كأنهم أسود هذه المأسدة من كل ليث غليظ العنق شديد وضيغم))[46]

وقال رجل من بني كليب :

وحنت ناقتي طرباً وشوقاً الى من بالحنين تُشوقيني[47]

وقد اعترى الناقة الحنين وأخذها الشوق فاشتعل الحنين وظهر الشوق لدى صاحبها فبدأت تخاطره الذكريات وتعود به الأيام الى ناسه وأحبابه الذين خلفهم وراء ظهره وبعدت عنه ديارهم .

وقال آخر :

زعم العواذل أن ناقة جندب بجنوب خبت عريت وأجمت [48]

إذ نلحظ اللوم الصادر من قبل العواذل باتجاه الناقة معتقدين أنها لا تقوى على المسير ولا تحمل صاحبها الى مكانه المنشود ، فالشاعر يثبت لهم خلاف ما ينطقون إذ يقول في البيت الثاني :

كذب العواذل لو رأين مناخنا بالقادسية قلن لجَّ وذلَّت [49]

فالشاعر يثبت لنا أن الظن غير المشاهدة وإمارة ذلك وصولي الى الجهة المقصودة والبلد المرام وها هي ناقتي تصل الى القادسية بكل يسر وسهولة

وقال جعفر بن علبة الحارثي:

وقود قلوصي في الركاب فإنها ستضحك مسروراً وتبكي بواكيا[50]

فالشاعر يتحدث عن الترحال والتجوال من مكان الى آخر بوساطة تلك الناقة فإذا ما قُدِّر للعدو الاستدلال على مكاننا فإنه سيضحك ويس لذلك بينما الأصدقاء يشفقون ويغتنمون توجعاً إذا وقعت أسيراً بيد الأعداء.

3_ الطير

لقد شغل الطير مكاناً واسعاً في حياة العرب لما يملكه من خصوصية الطيران التي تجعله بعيد المنال ؛ لارتباطه بتجربة الصيد ، فتعلق العربي به تعلقاً شديداً وجرى ذكره على السنة الشعراء ورسموا حوله كثيراً من الأساطير والمعتقدات الخرافية التي كانت تروى عنه في مجالسهم وأثناء أحاديثهم حتى صار عنصراً مهماً وكائناً فاعلاً في مفصل يومياهم من حياة وموت وسلم[51] ، والطير يجسد مشاعر القوة والسيطرة ، كما يثير عواطف الحب ، والشوق والحنين ، وفي بعض الاحيان تشير صورة الطيور الى التشاؤم والقلق والخوف من الآتي وقد ورد ذلك في نصوص الشعراء[52] ، وتأتي الطيور في الشعر العربي رمزاً فهي من أكثر الرموز شيوعاً في الأدب العربي ولا سيما الحديث فقد يوظف الشاعر الطير والغرض الأسطوري والموضوع الاجتماعي[53] ، والطيور من حيوانات الطبيعة الحية التي منحها

الشاعر الكثير من رعايته وهي من مكملات الجمال في النص الشعري ، إذ يتملك ذلك في صوتها الشجي ، وصورها الفاتنة ، وحركاتها الرشيقة ، فالطيور تكسب الكون جمالاً وهدوء وتغريداً[54].

وبعد نقل شيء من آراء الباحثين والدارسين عن أهمية ووجود الطير في الشعر العربي ندخل الى اختيارات أبي تمام لنرى هذا العالم الجميل والطبيعة المتحركة في حماسته إذ تقول كبشة أخت عمر بن معد يكرب :

فإن أنتم لم تثاروا واتديتم فمشوا بآذان النعام المصلم[55]

فالبيت الشعري يتحدث عن قتل وقع ، ودية تلوح في الآفاق بينما ترفض الشاعرة الدية ، وتحث أهلها على أخذ الثأر وادراك القاتل ، فالذي يقبل المال ويترك الأثار لا يعيش الا ذليلاً بين الناس فهو كحال طائر النعامة يمشي مطأطأ الرأس ومن الأحاديث في النعامة قولهم : ((ذهبت النعامة تطلب قرنين فجزعت أذانها))[56]

وقال يزيد بن حمان السكوني

كأنه صدع في رأس شاهقة من دونه لعتاق الطير أوكارُ[57]

ان جار هؤلاء الناس في منعة قوية ، وحصانة كبيرة فهو في مكان عال ومرتفع ، فلن يصل اليه قاصدوه ، فالذي يحل بيننا ويجاور ديارنا لا تناله الأيدي ، ولا يدركه غريمه فكيف يصلون اليه وهو في مكان ومحل أعلى وأعز من وكر الطيور وهذه دلالة على المنعة المتناهية في حماية الجار ؛ لأنهم مهابون من الناس وموقرون من الآخرين .

وقال عمرو بن مخلاة الكلبي

يوم ترى الرايات فيه كأنها حوائم طير مستدير وواقع[58]

إذ يحضر الطير في البيت من خلال التشبيه ، فرايات القوم المنهزمين جائلة في الجو دائرة ، فالفارون من أرض المعركة تسقط الرايات من أيديهم ، وتهوي الى الارض ، بينما الظافرون بالنصر تخفق راياتهم في آفاق الفضاء وتحلق في عنان السماء .

وقال دريد بن الصمة

وعبد يغوث تحجل الطير حوله وعز المصاب جثو قبر على قبر [59]

فالنص يتحدث عن معركة وقتلى ومنهم ذلك المقتول الذي غدا جسده طعاماً للطيور حتى امتلأت حواصلها من لحمه فهي لا تكاد تطير (تحجل) إذ اصبح مشيها وطيرانها ثقيل من لحم المقتول الذي بات في العراء هدفاً وغذاءً للطيور ، فالشاعر قد توالت عليه المصائب وكثرت عليه الرزايا فكثير من اهله واخوانه حتى اضحوا قتلى في سوح الوغى وميادين النزال .

ونظير هذا المعنى قول المتلمس :

ألم ترى أن المرء رهن منية صريع لعافي في الطير أو سوف يرمس
فلا تقبلن ضيماً مخافة ميتة وفوتن بها حراً وجلدك املس [60]

أذ يقر المتلمس بحقيقة واقعة لا محال وهي مسألة الموت الذي ينال الجميع بدون استثناء فبعض الناس يموت ويدفن وهذا حال أكثر البشر لكن بعض من الخلق يموت ميتة الفرسان في ساحة النزال ويصبح طعاماً لطيور البراري وغذاءً لعافي الطير ، فالشاعر يريد من الانسان أن يموت حراً كريماً رافضاً للذل والضيم والهوان مادام الموت مكتوباً ومقدراً على الجميع فحياة العزّ أشرف من الهوان وساعات الضيم .

الخاتمة

بعد ان وصل البحث صفحته الأخير لا بد من ذكر النتائج ومن أبرزها هي :

1_ رفدت الطبيعة النص الشعري بجمال غير محدود ، فنحن نرى في القصيدة الأشجار والجبال ، الأنهار والبر والبحر ، وكائنات متحركة مثل : الخيول والجمال والطيور وغير ذلك

2_ لا يكاد يخلو نص أو قصيدة من مظاهرة الطبيعة .

3_ حمل كتاب الحماسة الطبيعة المتحركة وتمثل ذلك في بعض الكائنات المتنوة

4_ تكاد تحتل الخيل المرتبة الأولى في ديوان الحماسة في موضوع الحرب وخوض المعارك

5_ توظيف الإبل في موضوعاته الترحال والسفر وهذا بديهي اذ يكاد يكون هذا التوظيف أكثر الموضوعات فالجمل سفينة الصحراء وحامل الإنسان من دار الى أخرى.
6 – جاءت الشواهد التي توظف الطيور في كثير منها في قضية الموت وكيف يترك المقتول طعاماً لعافي الطير أو اشارة الى مكانها العالي للدلالة على قوة المنعة وحصانة الجار

الهوامش
1_ لسان العرب : ابن منظور ، ج 4، 567 .
2_ أساس البلاغة : الزمخشري ، 275.
3_ معجم مقاييس اللغة : أحمد بن فارس ، 606 .
4_ معجم البستان : عبد الله البستاني . 651
5_ الطبيعة والثقافة : محمد سبيلا ، 7
6_ المعجم الأدبي : جبور عبد النور ، 136
7_ مفهوم شعر الطبيعة وموضوعاته في الشعر الأندلسي
8_ فنون الادب العربي الغنائي : نخبة الاساتذة ، 29
9_ استعارات الطبيعة في الشعر العربي الاندلسي : ياسر رشيد ، 292 .
10_ الطبيعة في الشعر والرواية : محمد الجعبري ، جريدة الوطن .
11_ الطبيعة عند الشعراء الرابطة القلمية : صادق فتحي ، 45.
12_ النقد الأدبي أصوله ومناهجه : سيد قطب ، 148
13_ الوصف في شعر بشار بن برد : خديجة إبراهيمي
14_ الشاعر والطبيعة : نظمي خليل ، 67 .
15_ جبران خليل جبران تمجيد الإنسان والطبيعة ونغمة الحزن وأنين الألم : بتول جريدة الايام ، 13 .
16_ القرآن الكريم .
17_ فن الوصف في الشعر الجاهلي : علي أحمد الخطيب ، 104
18_ صورة الخيل في الشعر الجاهلي : نور الدين عرامي
19_ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ابن رشيق القيرواني ، ج 2، 296 .
20_ الوصف في الشعر العربي : عبد العظيم قناوي ، 9
21_ شرح ديوان الحماسة : ابو تمام ج1، 95 .
22_ شرح الديوان ، ج1، 100
23_ شرح الديوان : ج1 ، 104

24_ شرح الديوان :ج1، 112
25_ شرح الديوان :ج1، 117 _118
26_ المصدر نفسه :117
27_ شرح الديوان : ج1، 121
28_ شرح الديوان :ج1، 281
29_ شرح الديوان ج1، 238
30_ شرح الديوان : ج1، 238
31_ شرح الديوان ج2، 487
32_ شرح الديوان : ج2، 488
33_ شرح الديوان : ج2 ، 507
34_ شرح الديوان ، ج2، 545
35_ ينظر : الوصف في الشعر العربي، 35.
36_ ينظر : صورة الناقة في تجربة الشاعر الجاهلي المعلقات الشعر _ أنموذجاً .

37_ ينظر : وصف الطبيعة في الشعر الجاهلي جليل نورية ، 52
38_ رمزية الناقة عند الشاعر الجاهلي _ المثقب العبدي ، بقاته علي ، 9
39 _ ينظر : صورة الناقة في تجربة الشاعر الجاهلي _ المعلقات العشر _ أنموذجاً _ عميرة نمر ، 72 .
40 _ الناقة والصحراء في شعر الأعشى الكبر عمر عبد السليمان ، 29.
41_ شرح الديوان ، ج1، 159.
42_ شرح الديوان ، ج1 ، 159 .
43_ شرح الديوان ، ج1 ، 185.
44_ شرح الديوان ، ج1 ، 215.
45_ شرح الديوان ، ج1 ، 224 .
46_ المصدر نفسه ، 244 .
47_ شرح الديوان ، ج1 ، 259.
48_ ينظر : مخاطبة الطير في الشعر العربي : حمد بن علي ، 12
49 _ الحيوان في شعر كعب ابن زهير : جازية فواز ابراهيم ،43 .
50_ ينظر : الطير رمزاً ، سمير خليل ، 336 .
51_ ينظر : الفاظ طبيعية في شعر بن حمديس رأفت محمد سعيد ، 121.
52_ شرح الديوان : ج1 ، 160 .
53_ فصل المقال في شعر كتاب الأمثال ، أبو عبد الله البلري ، 287.
54_ شرح ديوان الديوان : ج1 ، 202 .
55_ شرح الديوان : ج2 ، 459.
56_ شرح الديوان ج2 ، 583
57_ شرح الديوان : ج2 ، 466.

هوامش البحث:

(1) لسان العرب ، أبن منظور ، ج4، 567.
(2) أساس البلاغة ، الزمخشري ، 275 .
(3) معجم مقاييس اللغة ، أحد بن فارس ، 606 .
(4) التعريفات ، الشريف الجرجاني ، 115.
(5) الطبيعة والثقافة ، محمد سبيلا ، 7.
(6) المعجم الأدبي ، جبور عبد النور ، 136.
(7) ينظر : مفهوم شعر الطبيعة وموضوعاته في الشعر الاندلسي ، مجلة قلم الالكترونية ، 2020
(8) ينظر : فنون الأدب العربي الغنائي _ الوصف ، نخبة من الاساتذة ، 29 .
(9) ينظر : الاستعارات الطبيعة في الشعر العربي الأندلسي ابن حزم الأندلسي انموذجاً ، ياسر رشيد 292
.
(10) ينظر : الهام الطبيعة في الشعر والرواية ، محمد الجعبري جريدة الوطن 2019.
(11) ينظر : الطبيعة عند الشعراء الرابطة القلمية (جبران خليل جبران انموذجاً) صادق فتحي ، مجلة اللغة العربية ، العدد 4، 5
(12) ينظر : النقد الأدبي أصوله ومناهجه سيد قطب ، 148.
(13) النقد الأدبي ، سيد قطب ، 148.
(14) ينظر : الوصف في شعر بشار بن برد ، خديجة إبراهيمي ، رسالة ماجستير ، 2019، 62
(15) ينظر : الشاعر والطبيعة ، نظمي خليل مجلة الرسالة العدد 76.

(16) ينظر: جبران خليل جبران ، تمجيد الانسان والطبيعة ونغمة الحزن و أنين الألم ، بتول حسن من جريدة الايام السورية ، 221 _ 13
(17) سورة الانفال ،60
(18) ينظر : فن الوصف في الشعر الجاهلي، على أحمد الخطب : 104.
(19) ينظر : صورة الخيل في الشعر الجاهلي
ديوان عنترة بن شداد ، نور الدين عرامي ، 29 رسالة ماجستير ، جامعة محمد خضير بسكرة ، 2013
(20) ينظر : العمدة في محاسن الشعر ، ابن رشيق القيرواني ، ج2 ، 296
(21) الوصف في الشعر العربي عبد العظيم قناوي ، 9
(22) شرح ديوان الحماسة لأبي تمام ، المرزوقي ، ج 1 ، 95
(23) شرح الحماسة ، ج1 ، 100 .
(24) شرح الحماسة ، ج1 ، 104
(25) شرح الحماسة ، ج1 ، 112 .
(26) شرح الحماسة ج1 ، 117_ 118 .
(27) المصد نفسه ، 117 .
(28) شرح الحماسة ، ج1 ، 121
(29) شرح الحماسة ، ج1 ، 281
(30) شرح الحماسة ،ج1 ، 238
(31) شرح الحماسة ،ج1 ، 37 .
(32) شرح الحماسة ،ج1 ، 487
(33) شرح الحماسة ،ج1 ، 507
(34) شرح الحماسة ، ج1 ، 507
(35) شرح الحماسة ،ج1 ، 507
(36) المصدر نفسه ،ج1 ، 545
(37) ينظر : الوصف في الشعر العربي،37.
(38) ينظر : صورة الناقة في تجربة الشاعر الجاهلي المتعلقات الشعر _ أنموذجاً _ رسالة ماجستير ، 31
(39) ينظر : وصف الطبيعة في الشعر الجاهلي جليل تورية ، رسالة ماجستير ، 52
(40) رمز الناقة عند الشاعر الجاهلي _ ءء العبيدي ، بقاته علي . 9
(41) ينظر : صورة الناقة في تجربة الشعر الجاهلي ، المتعلقات العشر _ أنموذجاً _ عميرة نمر _ رسالة ماجستير 72
(42) الناقة والصحراء ي شعر الاعشى الكبير (ميمون بن قيس) عمر عبيد السليمان الموني بحث في المجلة العلوم العربية ، العدد ،24,1433 ه،29 (43) شرح الحماسة ، ج1,159
(43) شرح الحماسة ،ج1 ، 159.
(44) شرح الحماسة ج1 ، 159
(45) شرح الحماسة ج1 ، 185
(46) شرح الحماسة ج1، 185
(47) شرح الحماسة ج1,215
(48) شرح الحماسة ، 244
(49) المصدر نفسه، ج1 ، 224
(50) شرح الحماسة يتحدث ج1، 259
(51) ينظر : مخالطة الطير في الشعر العربي ، حمد بن علي الفقيه ، رسالة ماجستير ،12
(52) الحيوان في شعر كعب بن زهير ودراسة موضوعية وفنيه ، جازتة فواز ابراهيم ،43 ، رسالة ماجستير

(53) ينظر: الطير رمزاً _ دراس في أمثلة من العراقي الحديث ، سمير الخليل ياسر عمار مهدي بحث في مجلة ديالى ، 336 .
(54) ينظر: الفاظ الطبيعة في شعرين حمد رأفت محمد سعد ، رسالة ماجستير ، 121.
(55) شرح الحماسة ، ج1، 160.
(56) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ، أبو عبيد البكري ، تحقيق احسان عباس ، ط3، 287 ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1983
(57) شرح الحماسة ، ج1 ، 110
(58) شرح الحماسة ، ج1 ، 459
(59) شرح الحماسة ، ج1 ، 583
(60) شرح الحماسة، ج1 ، 466

المصادر

***القران الكريم**

1. أساس البلاغة ، الزمخشري ، د.ط ، الناشر دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 2007
2. التعريفات ،الشريف الجرجاني ، ط1 ،.
3. شرح ديوان الحماسة لأبي تمام ، شرح ، أبي علي احمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، بيروت ، لبنان المرزوقي ، ط1 ، دار الكب العلمية 2004 .
4. الطبيعة والثقافة دفاتر فلسفية نصوص مختارة ، ترجمة ، محمد سبيلا وعبد السلام عبد العالي ، دار تبقال للنشر .
5. العمدة في محاسن الشعر آدابه ونقده ، ابن رشيق القيرواني ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ط، دار الكتب العلمية ، لبنان ، 2001
6. فصل المقال في شرح كتاب الأمثال لأبي عبيدة البكري ، تحقيق قصي الحسين ، ط 1 ، دار مكتبة الهلال ، 2003 .
7. فن الوصف في الشعر العربي ، علي احمد الخطيب ، ط1 ، الدار المصرية ، 2004.
8. لسان العرب ، ابن منظور ، ج 4 ، ط 3 ، دار صادر بيروت ، لبنان ، 2010
9. المعجم الأدبي ، جبور عبد النور ، ط2 ، دار العلم للملايين ، 1984
10. المعجم البستان ، عبد الله البستاني ط1 ، الناشر المطبعة الأميركانية ، 2018
11. معجم مقاييس اللغة **ابن فارس، ابو الحسن احمد بن زكريا (ت395هـ/1004م).** ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون،(قم، مكتبة الأعلام الاسلامي، 1983م).
12. النقد الأدبي أصوله ومناهجه ، سيد قطب ، ط1 ، دار الشروق ، مصر ، القاهرة 1948.
13. الوصف في الشعر العربي ، عبد العظيم قناوي ، ط1 ، مكتبة الحلبي ، مصر ، القاهرة ، 1999 .

الرسائل والأطاريح الجامعية

1. الحيوان في شعر كعب بن زهير دراسة موضوعية وفنية ، جازية فواز أبراهيم، رسالة ماجستير ، جامعة التدريس ، 2012.
2. ديوان عنترة بن شداد _ نور الدين عوامي ، رسالة ماجستير ، جامعة محمد خضير بسكرة ، 2013.
3. صورة الخيل في الشعر الجاهلي
4. صورة الناقة في تجربة الشاعر الجاهلي

5. الفاظ الطبيعة في شعر ابن حمديس ، رأفت محمد سعيد ، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح ، فلسطين ، 2007.
6. مخاطبة الطير في الشعر العربي ، حمد بن علي الفقيه ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى 2014
7. المعلقات العشر أنموذجاً _ عمير نمر ، رسالة ماجستير
8. وصف الطبيعة في الشعر الجاهلي ، جليل نورية ، رسالة ماجستير ، جامعة عبد الحميد بن باريس ، مستغانم ، 2018.
9. الوصف في شعر بشار بن برد ، خديجة ابراهيمي رسالة ماجستير ، جامعة محمد خضير سكرة ،.

الدوريات والصحف

1. (المثقب العبدي) ، بقاته علي ، مجلة اشكالات في اللغة والآداب ، الجزائر ، العدد ، 2021
2. استعالات الطبيعية في الشعر العربي الأندلسي ابن حزم الأندلسي (أنموذجاً) ياسر حميد ، مجلة جامعة تكريت ، العدد 24 ، 2018.
3. جبران خليل جبران تمجيد الأنسان والطبيعية ونعمة الحزن وأنين الألم ، بتول حسن ، جريدة الأيام السورية ، 2021 .
4. رمزية الناقة عند الشاعر الجاهلي
5. الشاعر والطبيعة ، نظمي خليل ، مجلة الرسالة ، جامعة العربي التبسي .
6. الطبيعة عند شعراء الرابطة القلمية (جبران خليل جبران أنموذجاً) صادق فتحي ، مجلة اللغة العربية وآدابها ، العدد4 ، 1437هـ ، ايران .
7. الطير رمزاً دراسة في أمثلة من الشعر العراقي الحديث ، سيمير الخليل ، ياسر عمار مهدي ، مجلة ديالى ، العدد 73 ، 2017 .
8. مفهوم شعر الطبيعة وموضوعاته في شعر الأندلسي ، مجلة قلم الألكترونية ، 2020
9. الناقة والصحراء في شعر الأعشى الكبير (ميمون بن قيس) ، عمر عبد السليمان مجلة العلوم العربية العدد 24 ، 1433 هـ ، الأردن .
10. الهام الطبيعة في الشعر والدولة ، محمد الجعبري ، جريدة الوطن ، 2019 ، قطر .